ضربة شمس
الدستور
الأربعاء العدد ٢٩٤ - الإصدار الثاني ٢٧ من يناير ٢٠١٠م - ١٢ من صفر ١٤٣١هـ
أحسن ما فينا العشق و المعشقة
Aldostor

يحررها:
خالد كساب
kh_kassab@yahoo.com

الأخلاق

«أنا عندي أخلاق؟» سؤال قد تسأله لنفسك الآن وقوفك الصباحي أمام مرآة الحمام وأنت تحلق ذقنك، وسوف تندهش كثيراً عقب ترديد أصدائه داخل عقلك الجميل.. فبمجرد ذكر كلمة أخلاق بداخل إدراكك.. وبمجرد الضغط على خلية البحث الخاصة بالكلمة داخل المخ.. سوف تظهر لك العديد من مواقع الذكريات، وسوف تصطف أمامك فايلات مثلاً مختلفة تحتوي على تفاصيل من حياتك لها علاقة بالكلمة المذكورة.. والذي سوف يدهشك.. ليس اكتشافك إنك ما عندكش أخلاق أو عندك.. ولكن الذي سوف يدهشك في الحقيقة.. أنك بعد مراجعتك لكل تلك المواقع من الذكريات.. وبعد إطلاعك على كل تلك الفايلات الخفية التي تحكي تجربتك في الدنيا الفونية.. لن تستطيع تحديد ما إذا كان عندك أخلاق ولا ما عندكش.. وده مش لأنك عيل عِرّه وشلحلجي وملكش بتاع أخلاق.. لا.. حاشا لله.. ولكن لأن ماحدش أصلاً.. يعرف بالتحديد وعلى وجه الدقة.. إيه هي الأخلاق!

الأخلاق.. هل تعني أن البني آدم منا يبقى خام وخجول وماعندوش تجارب وسهل أي حد يشقشقه.. ولو شاف قدامه بنت حلوة.. يعرق.. ويتلجلج في الكلام.. وخدوده وطراطيف ودانه يحمروا.. أم أنها تعني أن البني آدم منا يبقى متسق مع نفسه.. وحقيقي للدرجة التي تؤهله الآن يفصح عما بداخله لأي حد بدون الخوف من أي عائق؟!

الأخلاق.. هل تعني إطلاق العنان لرغباتنا ونزعاتنا وتجاربنا.. ومحاولة التعلم وفهم الحياة.. أما أنها تعني إننا نفضل نعمل حساب الناس وحساب كلامهم وآرائهم المتناقضة حتى نكتشف في النهاية إن سارتر كان عنده حق لما وصفهم بأنهم الجحيم الحقيقي؟!

عشان نبقى أخلاق.. ماذا ينبغي علينا أن نفعل؟! نرضي أنفسنا.. أم نرضي الآخرين؟! وأي معيار ينبغي علينا أن نقيس به تصرفاتنا وأفعالنا لتحديد ما إذا كانت أخلاقية ولا لأ؟! هل هو المعيار البشري الذي اتفقت عليه البشرية التي لم تتفق على شيء أصلاً؟! هل هو معيار الطبيعة التي يقول عنها «تنيسون» الشاعر الإنجليزي أنها «ملطخة بالدماء نابا ومخلبا» على أساس أنها كثيراً ما انتصرت للوحشية والخداع على حساب الحب والرحمة؟! هل هو معيار التاريخ الذي يؤكد أن البقاء للأقوى.. سواء على مستوى الأفراد أو الدول أو الحضارات؟! هل هو معيار الفضيلة التي لا يمكننا أن نضع لها تعريفاً جامعاً مانعاً يتفق عليه جميع سكان الكوكب.. بخلاف ما قاله «جبران خليل جبران».. عندما «فقش» الحقيقة من «منتصفها» وقال.. «إن أسمى الفضائل في عالمنا.. أدناها في عالم آخر»!

جميع الفلاسفة والمفكرين والأنبياء والحكماء والعباقرة أفنوا أعمارهم في محاولة فهم المشكلة الأخلاقية ومحاولة الوصول إلى حل لها.. وكل ما فيلسوف منهم يدلي بدلوه في الموضوع.. ييجي فيلسوف تاني بعده يدلي بدلوه هو الآخر ويقول رأياً مناقضاً لرأي الفيلسوف اللي قبله.. لهذا.. دعوني أنتهز فرصة تلك الزحمة الفلسفية.. وأدلي بدلوي أنا كمان (على أساس إنها ما جاتش يعني على الدلو بتاعي).. الأخلاق.. أن تصدق نفسك.. وتفعل طوال الوقت ما أنت مؤمن به فعلاً.. وألا تؤذي أحداً.. وأن تخوض تجربتك في الحياة حتى النهاية.. بحثاً عن أسطورتك الذاتية التي من أجلها جئت إلى تلك الحياة!

أما بالنسبة للتساؤل حول تعريف الأخلاق.. وإيه هي على وجه التحديد.. فيمكنكم أن تحصلوا على الإجابة عبر أغنية «مانسون» - زعيم الهيبيز - تلك الأغنية الجميلة والحزينة والصادمة.. «الأخلاق.. الأخلاق.. الأخلاق.. لا لوم على الأخلاق»!

كساب

من كتاب «ضربة شمس».. بمناسبة صدور الطبعة الثانية عن دار نشر «ميريت»

photo by.. Moufida Fedhila